



في كلّ مرّة نبحث عن أحوال إخوتنا في سوريا، نجد سؤالاً من الدّعاء والمفكّرين والكتّاب: برأيكم ما الذي يمكن عمله نصرة لإخواننا في سوريا؟ وفي محاولة لعصف ذهنيّ تأتي الإجابات الخيالية والعجيبة ثم أقول:

"إنَّ الله على كُلِّ شيء قدير"، ثم أعود إلى يأسي.. فالله قادر على كُلِّ شيء، ولكنَّ الدّماء والأشلاء تعود لتستحث السؤال الذي أبى أن يهدأ، وظلَّ يتجلّج كالمحنون في رأسي: "ما زاد عسانا نعمل من أجل إخواننا في سوريا؟"
فأقول كما قال غيري: "بالدّعاء"، ثم أسمع صرخات الأمهات.. وأقرأ لافتات الأطفال.. وأشاهد نداءات الأبطال.. وأتمزق أمام سؤالهم: "ما الذي تنتظرونه لأجل نصرتنا؟"، فأبكي من ضعف الحيلة فإذا هم يقفزون:
"أعيرونا مدافعكم لا مدامعكم" !!

فيجف الدّمع خجلاً.. ثم ينهمر مجدداً.. لأنَّ ما يحدث أقوى من الاحتمال..

أحسستُ يا إخوتي ويا أخواتي بأنّي كالهائم في الصحراء يبحث عن جواب.. وكلما استجديت أحداً قال لي: "عليك بالدعاء" .. فسألتُ الله أن يلهمني الجواب.. وواظبتُ على متابعة أخبار أهلنا هناك..
وما أبعد المسافات، ولكن ما أشدّ قرب الهم والتصاقه بالفؤاد.. فألهمني الله أن أعود إلى سقيا الطيور وإطعامها.. وقلتُ في نفسي: لعلَّ الله أن يجعل من هذه الطيور جنداً يحمي إخوتنا.. وكلما أبديتُ فكري واريته خجلاً لعي حرمي من تبريرها..
فقالت لي قريبة عزيزة:

"أو تذكرين أصحاب الفيل؟" فقلت: "نعم.. اللهم أرسل على الطالمين طيراً أبابيل.. ترميهم بحجارة من سجيل" .. فصرت أدعوا ليل نهار بسقيا جنود الله "الطيور" ..

ما زال جرحني ينزف.. وعيني تدمّع.. والجواب في ذهني لم يكتمل.. فبأيدينا أن نعمل الكثير.. ولكم رأينا من وثائق وتقارير عن الشهداء والجرحى والتكلّي والجوعي.. والخائفين والمعذّبين.. فأيّقنتُ بأنَّ الدّعاء المقتضب وحده لا يكفي..
بل علينا أن نجعل دعائنا مثل دعائهم، وأوجاعنا مثل أوجاعهم.. فرأيت فيهم أهلي وإخوتي وأبنائي ورأيت فيهم ذاتي..
في كلّ مرّة يضحك طفالك تذكّر أنَّ هناكآلاف الأطفال يبكون هناك.. فادع لهم..

إذا جاء طفالك.. ثم شبع.. تذكّر أنَّ هناك من دفع قيمة رغيف الخبز روح والده، ولم يصل إليه الرغيف.. وارغ حقَّ النّعمة..

ولا تلقِ بها..

إذا مرضت فاعلم أنّ هناك من لا يجد الدّواء..

لقد جعلتُ من أوجاعهم أوجاعي، فرأيتُ الشّارع وقد امتلأ بالجنود، وسألتُ نفسي: "إلى أين أفرّ" ولماً أيقنتُ ضعف حيلتي عن رفع الظّالم عن نفسي رفعت يدي وقلت: "اللّهم إنا مغلوبون فانتصر".

جيمينا مثلهم.. ولو كنّا قادرين لننصرناهم.. فلنعلم أنّ الظّالم واحد.. وأنّا كنّا جرحى وثكلى وقتي..

في كلّ دعاء نسمعه.. وفي كلّ آية نقرؤها.. جعلتهم نصب عيني.. فرأيت في كلّ بشاره بالنصر بشاره لإخواننا في الشّام ورفعت يدي.. موقفة بنصر الله، وسألته وحدة الصّف.. وفي كلّ تهديد ووعيد رفعت يدي موقفة بهلاك المجرمين، وسألته أنْ يربنا قدرته في مَنْ ظلم..

وسألتُ نفسي: وماذا عن القتلى الذين ماتوا ظلماً على يد الطّاغة؟! فتذكرتُ الآخرة.. وازدُدتُ شوقاً لها كي أرى فرحة المظلومين بنصر الله لهم..

وفرحة الأممـات بلقاء الأبناء، وقد أبدل الله خوفهم أمّنا.. وحزنهم فرحاً.. وجراحهم جنة عرضها السّماوات والأرض..

اشرب كأس الماء وقل: "اللّهم إنّهم ظامئون فاسقهم".

تلحق بلاحافك في الليل وقل: "اللّهم أبدل خوفهم أمّنا".

ولم يعد يهنا لي بال حتّى أعرف أخبارهم.. فرأيت طفلة في عمر طفلي وهي مصابة في ساقها إصابة تحتاج إلى علاج وترميم، فأصابتني في مقتل فرفعت يدي: "يا ربّ إنّ طفلي في الشّام تشكو جرحاً في ساقها.. يا ربّ فاشفها".
فأدراكـتُ أـنـنا لـكـي نـنصرـهم عـلـى ضـعـفـ حـيـاتـنا فـلـتـخـيلـ لوـ كـانـ المـصـابـونـ أـبـنـاءـنـا فـمـاـذـاـ نـحـنـ فـاعـلـونـ؟

بوج الأّمّـاتـ وحرقة قلوبـهنـ نـدعـوـ لـهـمـ.. وـنـتـصـدـقـ عـنـ مـرـضـاهـمـ.. وـنـبـكـيـ عـلـىـ أـوجـاعـهـمـ.. وـنـفـكـرـ فـيـهـمـ.. وـنـراـهـمـ فـيـ كـلـ وـقـتـ وـكـلـ حـينـ لاـ يـبـرـحـونـ أـذـهـانـنـاـ.. إـنـ غـابـتـ أـخـبـارـهـمـ سـأـلـنـاـ عـنـهـمـ.. إـنـ أـشـغـلـتـنـاـ الدـيـنـاـ لـمـ تـنـسـنـاـ التـفـكـيرـ وـالـدـعـاءـ لـهـمـ.

رفعت يدي أدعوا لطفلتي في الشّام.. ووالله ما أنزلتها إلا وأنا موقفة بأنّ الله سيشفيفها.. وسأبذل وُسعي بالدّعاء والصدقة، وأنا موقفة بأنّها ستقف بتلك السّاق في يوم النّصر والتمكين.. وموقفة بأنّنا يوم القيمة سنلتقي فتقول لي: "ها هي ساقـيـ التي دعـوتـ اللـهـ لـأـجلـهـ" ..

إخوتي.. وأخواتي.. ليكن لكلّ منّا طفل في الشّام يدعو له ويتصدق عنه، ويحسن ظنه بالله ليشفيفه ويحميه ويبارك فيه.. فهل نعجز عن هذه؟ اللّهم إني أسألك برد اليقين..

المصدر: الإسلام اليوم

المصادر: